النافذة المفتوحة

عن الأنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

وقفت لحظة فى منعطف من شارع « كريكت جراوند » لأشمل غليونى وأشكر نعمة الله علىّ أننى غير متزوج ، لأننى فى حياة العزوبة استطعت أن أقضى هذه الليلة السارة ساهراً إلى منتصف الساعة الخامسة صباحاً فأشهد طلعة الفجر فى اليوم المقبل الجميل من أيام شهر يونيو . وكنت إذ ذاك فى طريق إلى المنزل بعد وليمة دُعيتُ إليها فى بداية الليل فتمتعت بالطعام الشهى وبالشراب المنتقى . وكنت رجلاً كسائر الرجال غير خال من الهم ، فى ليلة كهذه تفريج عن النفس وسرور ومتعة قلما ينسيان بعد عدة أعوام . وفضلا عن مسرات هذه الليلة فقد اشتركت فيها فى لعب القمار فكان حظى حسناً وفوق الحسن

ثم مشيت وأنا أتغنى طروباً مرحا ولكن لا تحسب أننى كنت أرفع صوتى بالغناء فى مثل هذه الساعة فأقلق راحة النائمين لأنى كنت أوفر أدباً من ذلك بل كنت أغنى بصوت رقيق لأرضى عاطفتى التى بعثتها فى نفسى نشوة الخمر ونشوة الكسب فى القمار. وإنى لأعترف بأن تأثير الخمر فى نفسى كان شديداً جداً وإن كان لم ينسنى إلى ذلك الوقت طريق إلى منزلى ولم يسلبنى قوة التفكير

ولما وصلت إلى شارع « لابورنم » رأيت جندياً من جنود البوليس فاحتبست الأغنية فى حلقى لأنى كنت من الذين تصاب أوتار الصوت عندهم بالشلل عند رؤية رجال البوليس

وكان هذا الجندى طويلا جداً عريض الأكتاف قوىّ الجسم والنظرات أحمر الشعر مهيب الطلعة فى نظرى على الأقل ، وكان ينظر إلى الفضاء كأكثر رجال البوليس حينما يرون سارقاً أو قاتلا لا يستحق التشريف بنظرهم إليه

فلما اقتربت منه رمقنى بنظرة كنظرة علماء الحشرات تحت المجهر فلاحظت زرقة عينيه واتساع ذقنه وبروزها

ولم يكن من عادتى دعوة رجال البوليس إلى الاشتراكية فى حديث : أولاً لأنى أخشاهم، وثانياً لأنى قصير القامة نحيل وأعد من الأمور المهينة لى أن أقف ثانياً رأسى إلى الوراء لأتمكن من محادثة العمالقة الطوال، لكننى الآن تحت تأثير الخمر وجدت فى نفسى ميلا إلى تحية هذا الجندي لا لأحدثه ، ولكن لألقى عليه السلام ثم أستمر فى طريقى . وقد يكون هذا الميل من جانبى مظهراً واضحاً من مظاهر الخوف .

قلت : « سعد صباحك ! » فأجابنى الجندى وقد سر من تحيتى إياه سروراً كان يحاول كتمانه : « سعد صباحك ! »

قلت وكنت لا أريد أن أتحدث ولا أن أفاخر، ولكن لأشرح علة وجودى فى الطريق فى مثل هذه الساعة : « لقد كنت مدعواً إلى وليمة فتأخرت للآن » فنظر إلىّ الجندي نظرة طويلة وقال : « وهل أنت من سكان هذا الشارع ؟ »

قلت : « نعم فى المنزل رقم ٢٨ » فأشار لى الجندى

إلى المنزل الذى أمامه وقال : « وهل تعرف المقيم فى هـذا المنزل ؟ » فنظرت إلى منزل جميل صغير المساحة له حديقة أنيقة وقلت : « نعم هذا المنزل رقم ٤ يقيم فيه المستر « ألاريك ترول » هل تحب أن تتعرف به ؟ » فقال الجندى : « هل هو صديقك ؟ »

قلت : « إنه ليس صديقاً لأى إنسان » فتأمل الجندى فى المنزل لحظة ثم قال : « إننى أستغرب بقاء هذه النافذة مفتوحة فى مثل هذه الساعة »

وأشار إلى نافذة فقلت : « إن نظرك كنظر الصقر ولكن لا أظن أن من حق أحد أن يسأل المستر ترول عن فتح نافذته »

قال الجندى : « هذا صحيح ولكن هذا وقت غير مناسب لفتح النوافذ وأظن أنى رأيت النافذة مغلقة ساعة مررت بالمنزل منذ عشرين دقيقة »

فقلت : « إن المستر ترول رجل شاذ ولا يبعد أن يكون قد تعمد فتح النافذة الآن ليستنشق نسيم الفجر فى هذا اليوم الجميل »

فتأمل الجندى فى وجهى لحظة وقال : « يظهر أنك تعرف الشىء الكثير عن هـذا الرجل فكيف مع ذلك تقول إنك لست صديقه ؟ »

فقلت : « لقد أخبرتك بأنى لست صديقه وبأنى لا أظن له صديقاً فى العالم ؛ ولو أننى خيرت بينه وبين كلب أعور أعرج لذهبت فى الحال لأشترى طوقا للكلب . إننى لست صديقه ولكنى أعرفه كما يعرفه عدد كبير من الناس »

قال الجندى : « أهـذا وصفه ؟ إننى على كل أرى فتح النافذة الآن أمراً غريباً » ثم عاد إلى النظر نحو النافذة ومشى مسرعاً نحو منزل المستر ترول

مشيت وراءه لأنى لم أكن متعجلا فى الذهاب إلى منزلى ، ولأنى كنت مثل الجندى أستغرب فتح النافذة فى هذا الوقت . فلما وقف الجندى أمام الباب قلت له : « إذا كان بالمنزل لص واحد ساعدتك عليه ؛ وإن كان به لصان قبضت على واحد وأنت على الآخر وإن كانوا عدة لصوص استعنت بى على الاستنجاد بجنود أخرى »

فلم يجبنى الجندى ولكنه دفع الباب فوجده مفتوحاً ودخل فدخلت وراءه بغير دعوة . وكنت فى أثناء سيرى أراقب الأثاث وقد أعجبنى بناء المنزل ولم يعجبنى أثاثه فقلت للجندى : « هذا فراشى رث وإن منزل إحدى الخدم لأفضل . . . » فلم يدعنى الجندي أتم جملتى بل زجرنى بلفظة حادة ونظرة أشد إزعاجاً لنفسى ، فلزمت الصمت وتبعته إلى الغرفة التى رأينا فيها النافذة المفتوحة ، فإذا بها مكتب المستر ترول ؛ ولمحت أدراج مكتبه مفتوحة وأمرنى الجندى بالوقوف فى مكانى وتقدم هو :

وكانت هذه أول مرة خالفت فيها أوامر البوليس لأننى لو بقيت حيث كنت لما تمكنت من رؤية الجسم الممدد على الأرض ، وتبعت الجندي فرأيته

قال الجندى : « أهذا هو المستر ترول ؟ »

قلت : « نعم هو وأرى رأسه مائلا بشكل غير طبيعى . فقال الجندى : « إن رقبته مكسورة ولا بُدَّ أن يكون الذى لواها قد فعل ذلك من وقت قريب »

قلت : « إن الذى فعل ذلك قد أراح الدنيا من شرير كبير ، ولا شك أن كثيرين سيفرحون عند ما يصل إليهم هذا الخبر »

وقلت : « نعم فقد كان الرجل مرابياً يتجر فى وقت عمله أموال المساكين ويتجر بالفضائح ليحاول الكسب أيضاً عن طريق التشهير بالناس وإذاعة أسرارهم » فقال الجندى : « هل كان الرجل سيئاً إلى هذا الحد ؟ »

قلت : « نعم ولو لم يقتله قاتله الليلة فانى أعرف نحو خمسين من غير المجرمين يودون لو يقتلونه ؛ ثم ثم مستعدون بعد ذلك لتحمل جزاء القتل لكى يريحوا العالم منه . وقد علمت أن شاباً من أقاربى اضطر إلى الاستدانة منه وكان هذا الشاب لا يزال صغيراً جداً فلم يزل يدفع من أقساط الدين ما بلغت جملته ضعف ما استدانه ، ولكنه ظل مديناً بعد ذلك بجزء كبير من الربا . وضايقه « ترول » ليضطره إلى الوفاء فاضطر هذا الطائش إلى سرقة مال من المصنع الذى كان يشتغل به ووفى دينه ، ثم هرب لما وقعت عليه الشبهة ولا يزال أهله يبحثون عنه فلا يجدونه من نحو عشرين عاماً

وكان الجندى يصغى إلى قصتى باهتمام ثم خطر ببالى خاطر فقلت : « لعلنا بالتحدث الآن عن حياة هذا الوغد نفعل غير الذى ينتظره القانون من رجلين استكشفا جريمة فى الساعة الخامسة . ألا نستدعى الطبيب ؟ » فقال الجندى : « هل تعرف مكان التلفون ؟ » فأشرت إلى غرفة الجلوس وذهب وأمرنى بالبقاء حيث أنا حتى يعود .

أخذت القضية مجراها فلم تهتد النيابة إلى شىء وقضت بأن القاتل مجهول

وبعد بضعة أسابيع وصل إلىّ كتاب من خالتى فى بلدة قريبة فى الريف تدعونى فيه إلى مأدبة ، فسافرت وكنت قد علمت قبل ذلك أن ابنها النائب منذ عشرين عاماً قد عاد من أمريكا فجعلت غرضى من إجابة الدعوة أن أهنئها وأرى ابن خالتى الذى أوقعه سوء الحظ فى شبابه فى نكبته تلك التى اضطرته إلى الفرار .

وتلقتنى خالتى بالعناق وعرفتنى بسائر المدعوين وكلهم من علية القوم الذين كانوا أصدقاء زوجها السرى وقدمت لى ابنها فوجدت ساعة رأيته وصافحته دون أن يفوه كلانا بحرف

وانتهزت فرصة فخلوت به فقال : « لا تذكر شيئاً لأمى عن سابقة لقائك بى فانى لم أخبرها »

وكان ابن خالتى هذا هو الجندى الذى اجتمعت به فى منزل القتيل

ثم سارحته فقلت : « لقد عثرت ساعة كنت تتكلم فى التلفون على زر من أزرار سترة عسكرية تحت ذراع القتيل فوضعته فى جيبى وهذا هو » ثم أريته إياه

وقلت : « وقد نسيته بعد ذلك نظراً لحالة السكر التى كنت فيها . ولكننى تنبهت له بعد انتهاء القضية . وأظننى فهمت بعض الشىء »

فابتسم ابن خالتى وقال : « هو زر سترتى وأنا الذى قتلته ثم عدت إلى الوقوف فى الطريق مترقباً رؤية سكران مثلك برىء لأستشهد به على ملاحظتى رؤية النافذة المفتوحة واستكشاف الجريمة . ولكننى لم أكن أريد قتل هذا الرجل بل أخذ أوراق عنده لأنه كان يهدد أمى بالتشهير بها لأن لديه خطابات منها . وكانت أمى تسكته بالمال حتى لم يبق لديها شىء منه فذهبت لأحصل على تلك الخطابات ولكن الرجل كان ضعيفاً فلم يتحمل تهديدى ومات بين يدي ، وأنذكر أنك حدثتنى عن قريب لك اضطر إلى الاستدانة منه ثم سرق بسببه ليوفى باقى الربا المضاعف منها . أنا هذا القريب . وقد تطوعت فى خدمة البوليس من أجل هذا الغرض .

وعلى الرغم من أنى لم أكن أميل إلى الاجرام فلم يسعنى إلا تهنئة ابن خالتى على قتله هذا الشرير وعاهدته على بقاء سره مكتوماً . وقد كتمته حتى مات ابن خالتى بعد عدة أعوام

عبد اللطيف النشار